الأثر الدلالي للأصوات الانفجارية

في ألفاظ القيامة

الواردة في القرآن الكريم

أ. أميرة عتيق الله اليوبي

الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأثر الدلالي للأصوات الانفجارية في ألفاظ يوم القيامة الواردة في القرآن الكريم

أ/ أميرة عتيق الله اليوبي

ماجستير اللغويات

تتكون اللغات من وحدات صوتية متباينة هي الأساس لكلامها المركب، والركيزة في تنويع الأداء وتتميز هذه الأصوات بعاملين: أحدهما: نقطة التقاء طرفين من أعضاء النطق وهو ما يصطلح عليه بمخارج الأصوات؛ وثانيهما: كيفية حدوث هذا الالتقاء وهو ما يعرف بصفات الأصوات. [١]

وللوحدات الصوتية وظيفة تأثيرية ، وقد لاحظ العلماء ذلك فلم يعنهم من كل حرف أنه صوت، وإنما عناهم من صوت الحرف أنه معبر عن غرض معين. [٢]

وقد أشار ابن جني إلى الأثر الذي يحدثه الصوت المفرد في دلالة الكلمة حيث قال : " إن العرب كثيرا ما يجعلون أصوات العربية على سمت الأحداث المعبرة عنها ؛ فيعدلونها بها ، ويحتذونها عليها ، وذلك أ كثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره، من ذلك قولهم :خضم، وقضم ، فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء،...والقضم للصلب اليابس ؛ نحو : قضمت الدابة شعيرها ، ونحو ذلك ..فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب ، والقاف لصلابتها لليابس؛ حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث ." [٣]

وعليه فإن الأصوات تختلف في تأثيرها في بناء الكلمة و في المتلقي تبعًا للصفات التميزية للأصوات . [٤]

ومن الصفات التي تمنح الصوت اللغوي قوة في ذاته فيتميز بها ظاهرًا بين الأصوات الأخرى ، صفة تحمل في اسمها مدلولها العلمي ، الذي يوحي بمدى شدة حامل هذه الصفة، ألا وهي صفة الانفجار.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتتكون الأصوات الانفجارية: بأن يحبس الهواء الخارج من الرئتين حبسًا تامًّا في موضع من المواضع، مما ينتج عنه ضغط الهواء، ثم يطلق سراحُ المجرى الهوائي فجأة فيندفع الهواء محدثًا صوتًا انفجاريًّا والحروف الانفجارية تسعة جمعت في عبارة :أجد قط بكت + ض.[٥]

ويعود سبب قوة هذه الصفة التمييزية ، إلى إطلاق الهواء إطلاقًا مفاجئًا بعد حبسه وضغطه، فيعمل الضغط على زيادة طاقة الهواء المحبوس، فتزداد بذلك شدته وجهارته، فلو أطلق الهواء بشكل عادي لخسر جزء من طاقته هذه قبل وصوله إلى أذن السامع ، وهذا ما يحدث للماء في الأنبوب؛ فلو ضغط الماء في الأنبوب ، ثم أطلق فجأة ، لانطلق قويًا شديدًا، بخلاف حالته عند تركه بلين .[٦]

ولعل العلاقة بين صفة الانفجارية و ألفاظ يوم القيامة تكمن فيما يتلقاه الحس الشعوري من انقطاع الحياة الدنيا ونهاية العالم بانقطاع الهواء عند النطق بهذه الحروف، وعودة الحياة وخروج الناس مرة أخرى للجزاء والحساب كخروج الهواء منفجرًا بعد حبسه وضغطه .

ولهذا أثرت دراسة هذا النمط من التشكيل الصوتي للأصوات الانفجارية في ألفاظ يوم القيامة الواردة في القرآن الكريم والمشتملة على هذه الأصوات وسأقتصر هنا على صوت القاف للوقوف على مدى تأثير هذا الصوت على اللفظة وعلى المتلقي ؛ والقاف من الأصوات التي عانت كثيرًا من التغيرات التاريخية في العربية ،وقد تعددت الصور النطقية لهذا الصوت في القديم والحديث ما بين همزة ،وكاف تميمية ، وقاف فصحيحة ،والملاحظ أنه على الرغم من هذه التغيرات إلا أن القاف ما زالت تحتفظ بصفة الانفجارية .

ولتوظيف صوت القاف في ألفاظ يوم القيامة الواردة في القرآن أثر في تصوير اللوحة والحركة المطلوبة في ذلك اليوم وقد أشار ابن سينا إلى شدة صوت القاف وقوة وقعه حينما قال : " القاف قد تسمع من شق الأجسام وقلعها دفعة واحدة ."[٧] وهو صوت يدل على الاصطدام والانفصال والقطع كيفما كان موقعه في الكلمة .[٨]

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومما ورد في القرآن من ألفاظ يوم القيامة مشتملًا على صوت القاف الوقفي الانفجاري (الحاقة – القارعة – الواقعة)؛ فالقاف في الحاقة من أبرز الحروف وذلك لأنه حرف انفجاري يمتنع جريان الصوت مع الحرف لقوته في المخرج،[٩] وزاده قوة ادغامه بمثله فصارا حرفين مدغمين ببعضهما سبقهما حرف مد (الألف) مما أعطى الاستحقاق الكامل لحرف القاف المشدد في النطق كل هذه السمات أضفت على لفظ الحاقة القوة الكاملة في التعبير عن المعنى المراد في إثبات الحق وإزالة الشك وتقريب الحقيقة إلى أذهان المخلوقين وتذكيرهم بأهوال ذلك اليوم .

ودلالة لفظ الواقعة واضح في تحقق وقوعها يوم القيامة وفيه من الرد القطعي على منكري ذلك اليوم العظيم فقد سماها الله الواقعة مع أنها لم تقع بعد لأنه سوف يتحقق وقوعها فكانت كأنها واقعة لكثرة ما يقع فيها من الشدائد والأهوال وقد جاء اللفظ مناسبًا للمعنى لما تحمله بعض صفات الحروف من دلالة صوتية وجرس موسيقي فصفة الجهر والانفجارية في القاف يكونان قوة في الجرس الموسيقي الذي يدل على معنى يناسبه وهو وقوع ذلك اليوم وتحققه بأهواله وشدائده .

ومن تناسق التعبير تسمية القيامة بالقارعة فيتسق الظل الذي يلقيه اللفظ والجرس الذي تشترك فيه حروفه كلها مع آثار القارعة في الناس والجبال سواء ،وتلقي ايحاءها للقلب والمشاعر تمهيدًا لما يحيل إليه المشهد من حساب وجزاء،[١٠] وانفجار للأجرام واصطكاك لها ، هذا القرع يهز القلوب ويفتك بالأسماع بفنون الإفزاع ، والأهوال وانتقال الأجرام من حال إلى حال فهذا القرع استحق أن يرقى في وصف بعض مشاهد يوم القيامة ؛ ولصوت القاف بما يحمله من صفتي الجهر والانفجارية قوة في الدلالة على شدة وقوع صوت القرع .[١١]

بعد هذا العرض لما تضمنته ألفاظ يوم القيامة من أصوات انفجارية يمكن القول أن ألفاظ يوم القيامة التي اشتملت على صوت القاف تحمل نسقًا صوتيًا وجرسًا خاصًا يدل على القوة والشدة مما ساعد الألفاظ على التعبير عن ذلك اليوم الذي يَحِلّ فيه الدمار والخراب بهذا العالم الفاني ثم يَليه في نفس اليوم البعث والنشور للجزاء والحساب.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الهوامش:-

[١] الدلالة الصوتية في اللغة العربية ، صالح الفاخري، ١٣٨.

[٢] دراسات في فقه اللغة ، صبحي الصالح ١٤٢.

[٣] الخصائص، ابن جني ، ٥٠٩/١

[٤] دراسة الصوت اللغوي ، أحمد مختار عمر ١٨٣.

[٥] علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، محمود السعران ،١٥٣.

[٦] التحليل الصوتي للنص ، مهدي قبها، ١٦.

[٧] رسالة أسباب حدوث الحروف ، ابن سينا ،٩٧.

[٨] الدلالة الصوتية في اللغة العربية ، صالح الفاخري ،١٥١.

[٩] الملخص المفيد في علم التجويد ، محمد أحمد /١١٠.

[١٠] في ظلال القرآن ، سيد قطب ،٤-٦٨٨.

[١١] ألفاظ يوم القيامة الواردة في القرآن الكريم ،عبد الكريم الخزرجي، ١٢-١٦.